الطريق الدائري الذي كان قبلاً محظوراً، كما بالتحديق على مدى الأفق إلى ذلك الطريق الشماليّ الذي كان مُفْتَرَضاً أن يُقبل منه المجتاحون. والحقّ أنه في ذلك اليوم أخذ غلام بالصراخ وهرع أهل المدينة وتسلّقوا أعلى المباني متدافعين وبأعداد كبيرة أنذرت السقوف معها بالانخساف. كما تدافع الناس إلى الأزقّة المجاورة لباب «باشكيبور» الذي تُرك مفتوحاً على مصراعيه للتدليل على أن أية مقاومة لم تكن لتُتَوَقَّع.

سرت الشائعة بأسرع ممّا كان يركض الفرسان الذين كانوا لا يزالون على مسافة كبيرة. حتى إن ابنة الإسكافي العجوز الكبرى الشهيرة بحدّة بصرها، وكانت قد سيقت إلى البرج المُشْرِف، لم تلمح خوذة ولا بَيْرقاً. واكتفت بالتقدير بأن الأمر لا يتعلّق بعدُ بالجيش الساساني، وإنما بمجرّد فصيلة قد تكون من الكشّافين أو حاملة أمراً عسكرياً.

والذي لم يكن في مقدورها تخمينه هو أن تلك العجاجة كانت الثُلّة التي كلفها «هرمز» إعادة «ماني» إلى (دَبْ). وكانت تضمّ قائداً وعشرة رجال هم الجنود الساسانيون الأوائل الذين كان أهالي المدينة يلمحونهم منذ كانوا يعتبرون أنفسهم محاصَرين ومجتاحين سلفاً وهم يرتعدون. وعلى كل حالٍ فقد توقّف الفرسان على بُعد ثلاث مراحل من الأسوار وترجّل القائد لتحيّة «ماني»، ويمزيد من العجلةفعل رفاقه، قبل أن يعود إلى صهوة جواده ويستدير ويبتعد من غير أن يتوقّف نظره لرؤية الناس أو المتاريس أو الباب المرحِّب. الباب الذي اجتازه «مالكوس» و«باتيغ» و«ديناغ» على مهل راكبين قبل أن يفسحوا الطريق لعبور بطل اليوم.

كان وصول العسكر القليل الصخب وتصرّفهم الموقّر تجاه «ماني» ورحيلهم المُقتَضَب آخر الأمر قد أثارت في الحشد مَرَحاً ساخراً نامّاً عن عدم التصديق. فقد اقتُلع الخوف لبرهة كما تُقتلع شوكة من الجلد. وعانق كل منهم أقرب شخص منه واغرورقت العيون بالدمع، وأخذ كل فرد يسبّح بحمد الربّ الذي كان يعتقد أنه سبب المعجزة ويباركون جميعاً مَنْ بدا أنه الوسيلة لتحقّقها.